

سلسلة المغامرين الـ ١٣



مَقبرة الدّير المعَلّق..

محمّد عبد الحميد الطرزي

دار النفائس



مَقبرة الدّير المعَلق..

تأليف

محمد عبد الحميد الطرزي

دار النفائس



للطباعة والنشر والتوزيع
شارع فردان - بناية الصباح
وصفي الدين - ص.ب ١٤/٥١٥٢
برقياً: دانفايسكو - ت ٨١٠١٩٤
أو ٨٦١٣٦٧ بيروت - لبنان

الطبعة الثانية: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

رسالة منتصف الليل

بعد أن انتهوا من مشاهدة برامج التلفزيون وتأهبوا للنوم . .

قال جعفر وهو يتثاءب بصوت مسموع :

- يا لها من سهرة مملة . .

أجابت نهلة وهي تبتسم :

- أخبرتكم أنه فيلم سبق لي مشاهدته ، ولكنكم خُدعتم بأسماء أبطاله . .

قال سامح ، الذي تأهب لمغادرة المكان :

- إنه يرضي أذواقاً خاصة لا أظنها متوفرة لدى أحد منا . . تصبحون على خير . .

وعندما اقترب من مكان جلوس وسيلة وهو في طريقه إلى الباب أشارت له هذه بيدها لينتظر وقالت :

- نعم نسمعك كلنا . . نعم كلنا هنا . .

ثم جاء صوت الخفي جلياً واضحاً وهو يقول :

ـ انصتوا إلى ما أقوله جيداً . .فإنكم، ولأول مرة ، ستواجهون أعداء معلوماتنا عنهم محدودة للغاية . . لذلك فلا تعتبروا الأمر مجرد مغامرة كلفتكم بأدائها كسابقاتها . . إنها قدتكون المرة الأولى التي سنناقش فيها مغامرة ، وندرسها معاً قبل أن أكلفكم بتنفيذها . .

كان الأمر جديداً عليهم فعلاً ، فما اعتادوا من الخفي إلا الأمر بالتنفيذ ، أما التفصيلات فلا يعرفونها إلا متى احتاج تنفيذ أوامره إلى الكشف عنها . . لقد اعتادوا منه الأمر وعودوه على الطاعة العمياء . .

استمر الخفي يقول :

ـ هل سمعتم عن الدير المعلّق . . ؟ ؟

لزموا الصمت برهة فقال متابعاً :

ـ لم تسمعوا به ، وهذا يتيح لكم فرصة أكبر لاستيعاب الأمر . .

سأله مازن :

ـ أهو دير قائم أم بقايا دير أثري . . ؟؟

أجابه الخفي :

ـ بل هو دير أثري سليم لم يمس، ولم يتأثر بالتقلبات الجوية طوال السنين الماضية ، ولو علمتم أنه شُيد منذ أكثر من ألف سنة ، فلا شك ان الأمر سيجذبكم لمعرفة المزيد عنه . .

وسمعوا صوت أوراق وكأنه يقلب صفحات كتاب أو يقرأ من صحيفة ثم قال :

ـ لقد جمعت بعض المعلومات التي تهمنا ، وضمنها نبذة عن الدير يجب أن تلموا بها . . إليكم ما كتب في كتاب «الأسفار في البحار»، لرحالة اسمه مقشمندي ابن فراس ابن القانع برزق الله . .

يرجع تاريخ هذا الكتاب إلى قرابة الألف عام بدوره وفيه وصف تفصيلي للدير . . حقيقة ، إن هذا الرحالة مجهول وغير معروف كسواه من الرحالة ، أمثال ابن بطوطة وغيره ، ولكن دقة وصفه وأسلوبه السلس ، الذي تقرأ بين سطوره صدق هذا الوصف ، جعلني أهتم بما جاء في كتابه هذا أكثر من سواه . . وسكت الخفي برهة ثم تابع قائلاً :

ـ يقول المقشمندي : كانت مفاجأة كبيرة لنا جميعاً عندما لاحت أبراج الدير مع بزوغ الفجر . . إنه يومنا السابع على التوالي الذي نمضيه في العراء ، ونحن عرضة للموت في كل لحظة منذ هبت تلك العاصفة ، التي شتتتنا ومزقت شمل القافلة الكبيرة التي كنت ضمنها في طريقي إلى بلاد الشام . .فلما لاحت أسواره في الأفق فجأة ، خيّل إلينا جميعاً أنه مجرد سراب لا وجود له ، بعد أن أنهكنا الجوع والبرد ومات منا الكثيرون . . ولو اقتصر الأمر على قسوة الطبيعة وحدها أو الجوع ونفاذ الماء لهان الأمر ، ولكن مهاجمتنا من ذلك العدو المجهول، الذي لا يرحم ضعيفاً أو كهلاً ، كان همّنا الأكبر وشقاءنا المقيم . . فلا يكاد ينتصف الليل حتى تنطلق صرخات مخيفة مصدرها وادٍ عميق يقع بين جبلين ، وكلما ازداد الصوت اقتراباً ووضوحاً ، لحظة بعد أخرى ، سارع الجميع وهم

يرتعدون فرقاً وخوفاً بالهرب ، حيثما اتفق ، كأن الشياطين تلاحقهم . . لقد علمتنا الأيام القليلة الماضية أن اقتراب الصوت ، ووضوحه ، معناه مقدمة وبداية لمعركة غير متكافئة ، بين من تبقى منا سليماً قادراً على الوقوف وحمل السلاح ، وبين جحافل من هذه الأشباح المرتدية السواد . . إنهم بشر مثلنا. فأنا لا أصدقتلك الشائعة التي سرت بين الرجال ؛ فبقدر علمي ، الأشباح لا تظهر ولا تقدم علىارتكاب مثل هذا العمل الإجرامي ، الذي نتعرض له كلما أقبل الليل . . والدليل الذي كان ينقصني ، للتأكد من صدق حدسي ، جاء في تلك الليلة، وبعدأن أشبعونا قتلاً وتمزيقاً وشرعوا في جمع شملهم استعداداً للانسحاب قبل بزوغ الفجر . . كنت قد اختفيت في حفرة عميقة ، حيث حجبتني الأحجار الكبيرة عن العيون ، ومن مكاني سمعت أنّات وصرخات الرجال المساكين . . كان يتخلل الجلبة أصوات مزمجرة ، مخيفة تقشعر لها الأبدان ، وكأنها خليط لأصوات مجموعة كبيرة مختلفة من الوحوش الشرسة النهمة . . فلما خفّت حدة المعركة واستعد عدونا المجهول للانصراف، شعرنا بهزة عنيفة كادت تقتلع الجبل من مكانه .

ولم أميّز ما فعله الزلزال إلا بعد ان هدأت الطبيعة ، وبزغت الشمس ، وقد أختفى عن الوجود ذلك الوادي الكبير ، بعد ان ملأته الأحجار الكبيرة ، التي انهارت من سفوح الجبلين ، وأنشأت بينهما جسراً من الأحجار يمكن السير عليه للوصول إلى الجانب الآخر . .

تلفت حولي أبحث عمن أبقت عليهم مجزرة الأمس الرهيبة ، فلم

أجد إلا جثثاً ، مشوهة بصورة اقشعر لها بدني للقسوة الواضحة التي تعرضوا لها ، وتركت صورتها على وجوه الموتى من الضحايا الأبرياء . . كان عليّ أن أتصرف وبسرعة لأبتعد عن هذا المكان الرهيب . .

جمعت ما تبقى من قوتي وزحفت أجمع ما تبقى من مياه في قرب الموتى ، وتزودت بالقليل من الخبز اليابس ، الذي تبقى في حوزتي ، واندفعت أعبر الوادي المردوم ، إلى الجانب الآخر ، راجياً أن أصل إلى مكان مأهول أعرف منه أين أنا . . وتقدمت بصعوبة كبيرة . كانت الأحجار المدببة تسبب لي آلاماً حادة بعد ان أدمت قدماي بأسنانها . . وفجأة لمحت بريقاً بين الأحجار ، سقط عليه شعاع الشمس فسطع بوضوح وجلاء ، واحترت في تفسير سببه ، فالمكان لم يكن له وجود حتى الأمس عندما أظهرته الهزةالارضية . . وقررت اكتشاف الأمر خاصة وأنه في طريقي ، الذي حددته لأعبر منه إلى الناحية الأخرى . .

وكانت المفاجأة التي ارتاح لها قلبي ، وسكنت لها روحي ، إن ما أراه أمامي اللحظة ، وتلمسه أناملي ، ليس وهماً ولا خيالاً بل حقيقة . . إنه سيف دقيق الصنع ، صغير الحجم ، مرصع بكل غال ونفيس من أحجار الماس والياقوت . رفعته وفحصته بعناية ، وبالرغم من جمال صنعته ودقتها ، فإن الدماء ، التي لطخته ، جعلت شكله مخيفاً منفراً حتى كدت أطوح به من علٍ . . ولكن ، وقبل كل شيء ، كان عليّ ان افكر في قيمته المادية . . لو قدرت لي العودة

والنجاة ، فسيعوزني المال بعد ان فقدت كل متاعي ، والقليل الذي كنت احتفظ به لنفقاتي في ترحالي الطويل . . إن في يدي الآن ثروة طائلة يجب الحفاظ عليها . لذلك أزلت آثار الدماء التي علقت به ، ولففته في ملابسي ، وتابعت طريقي . . وقبل الغروب ، كنت قد نجحت في عبور الوادي من هذا الارتفاع الشاهق ، الذي لم يكن له وجود قبل يومين . .

كان سفح الجبل ، في الجانب الآخر يختلف كلية عن هذا السفح الحجري المقفر . . كانت الأرض خضراء يكسوها الكلأ . ولما أطللت على الوادي شاهدت ، وأنا لا اصدق ما أرى ، وادياً عميقاً كسته الاشجار وقد تناثرت بينها البيوت البيضاء . . كادت الفرحة تفقدني رشدي ، فانطلقت كالمجنون ، أهبط إلى أقرب المنازل لألوذ به حتى تشرق الشمس . . وصلت إلى كوخ جميل بني من الحجر الأبيض المصقول ، المزين بنقوش غريبة ، لم يسبق لي رؤية شبيه له . . تلفّت حولي بحثاً عن أصحابه ، ولكن المكان كان خالياً تماماً ، لذلك قرعت الباب وأنا واثق أن أصحابه بالداخل . . إني أرى الدخان يتصاعد من مدخنة الكوخ ، وفي هذا دليل على أن المكان مأهول . . وانتظرت ولم يخرج لي أحد ، فعاودت القرع وبعنف ، فقد أرخى الليل سدوله وبعد قليل ستنطلق جحافل الشر تعيث في الأرض فساداً أينما حلت . . وتكرر القرع واستمر الصمت ، فدفعني خوفي إلى محاولة اقتحام المكان .

ولدهشتي وجدت أن الباب غير مغلق فدخلت أتلفت

حولي بحذر . ولما تأكدت من خلو المكان تماماً ، أسرعت إلى الباب وأغلقته بإحكام ، وتأكدت من متانته ومتانة النوافذ ، وأسرعت أرتمي مجهداً قرب النار المشبوبة ، وتفحصت المكان ببصري . . إن النار ليست حديثة بل هي في طريقها إلى الخمود . تلفت حولي فإذا بالمكان متسع نظيف ، وفي جانب منه احتفظ سكانه بزاد كثير . . بعد أن أكلت وارتويت استلقيت لأنال بعض الراحة ، وسرعان ما رحت في سبات عميق لم أستفق منه إلا في صباح اليوم التالي . . خرجت لاستكشف المكان ، ورميت ببصري إلى الوادي الفسيح لعلي ألمح انساناً أسأله إرشادي . . ولكن الصمت المريب كان يلف الوادي الجميل ويحيطه بجو من الرهبة ، بالرغم من جماله وخيره الكثير . .

وسكت الخفي برهة وقال :

ـ إنها قصة طويلة وربما كانت مملة بتكرار بعض أحداثها . ولكن ما هو آت هو ما يهمنا في الأمر ، لذلك رأيت ان أوجزه لكم بدلاً من قراءة كتاب الرجل البالي ، غير الواضح في الكثير من صفحاته . .

قال جعفر :

ـ إنها قصة رائعة ، وليتك لا تحرمنا متعة الاستماع إلى ما كتبه هذا الرحالة منذ ألف سنة ، وفي مكان مخيف كهذا . .

ضحك الخفي وقال :

ـ لو فعلت لاحتاج مني الأمر إلى ساعات ، أنا لا أملكها في الواقع . . سأحتفظ بالكتاب لتقرأه إن شئت فيما بعد ، أما الآن فأحب أن تصلوا إلى الفقرة التي تهمنا نحن اللحظة . .

وسكت برهة سمعوا خلالها صوت قداحته وهو يشعل سيجارته وتابع :

- باختصار، خرج هذا الرحالة من الكوخ مع ارتفاع الشمس، وما أن تبين ما في بطن الوادي ، حتى عادمسرعاًليجمع حاجياته ويتزود على عجل بالماء والزاد وهرول مبتعداً . . كانت جثث القتلى مكدسة بعضها فوق بعض ،وقد تهشم الكثير منها واختلط العظم باللحم ، بصورة تبعث الرعب والاشمئزاز . . . ظن الرحالة أنهم تعرضوا ، بدورهم ، لهجوم من غزاة الليل المرعبين فقرر سرعة الرحيل . ولكن وبعد ان قطع مسافة ليست قصيرة توقف ، ليلتقط أنفاسه ، واختار لنفسه ظل دوحة كبيرة وارفة الظل،قرب الغدير الصغير الرقراق الذي يمر غير بعيد عنها . . منذ مغادرته مكان تكدس الجثث لم يقع بصره على ما يريب أو يخيف . . كانت الطيور تغرد والأبقار ترعى الكلأ وكل ما حوله سلام وأمان وجمال . .

وأخذ يتنقل بين كوخ وآخر ، وقد ازداد يقينه أن المكان كان مأهولاً لوقت قريب . . وفي يومه الخامس ، وبينما كان هاجعاً لبعض الوقت ، بعد أن تناول وجبة دسمة من اللحم المقدد ، الذي حفل به مخزن الدار ، التي أمضى فيها ليلته الأخيرة ، تنبه على صوت حركة خافتة ، تأتيه من الطابق العلوي للكوخ الحجري . . غادر المكان بحذر وتسلح بذلك السيف الذهبي،وجمع كل ما لديه من شجاعة ليقتحم المكان . ووقع بصره عليها . . كانت ترقد في فراشها الوثير تنظر إليه ، وإلى السيف في يده، برعب وفزع . . إنها فتاة جميلةوإن

بدت ذابلة ممتقعة . . أدرك من نظراتها أنه زاد من خوفها بظهوره المفاجىء ، وليثبت لها أنه صديق ألقى بالسيف جانباً وتقدم منها باسماً وسألها فلم تجبه . . إنها لا تعرف العربية ، فليجرب معها الفارسية ، ثم الأفغانية . . زايلها خوفها وأخذت تهز رأسها علامة عدم الفهم ، ولكنه لم ييأس واستمر يعيد على مسامعها التحية ، بكل اللغات التي كانت معروفة في ذلك الوقت ، والتي أتقنها لكثرة ترحاله وتجواله، حتى تهلل وجهها فجأة وأجابته بفرح . . كان حديثها باللغة الهندية . . وعرف منها تفسير كل ماوقع عليه بصره في وادي الأهوال هذا . .

إنها وقومها نزوحوا من بلاد الهند ، منذ مئات السنين ، واستقروا في هذا الوادي الجميل ، وعاشوا في سلام وأمان ، وقتاً طويلاً ، حتى حضر هؤلاء الكهنة وقاموا بشييد ديرهم المعلّق الغريب . . إستغرق بناء هذا الدير عشر سنوات كان رهبانه خلالها لايظهرون ، ولا يتعاملون مع الأهالي . . كانت لهم مزارعهم ومواشيهم وكل سبل الحياة اللازمة التي وفروها لأنفسهم . وبعد أن انتهوا من تشييد الدير الحصين اختفوا بداخله تماماً ولم يعودوا يظهرون بالمرة . . وتضاربت الأنباء، وكثرت التكهنات حولهم . . دون أن تعرف حقيقتهم .

ومرت سنوات كثيرة بل مئات السنين . وذات صباح ، وكان شقيقها خارجاً إلى المرعى كعادته عثر في الطريق على صندوق من الخشب المتين، فحمله وأتى به إلى منزلهم هذا . . ولما فتحه وجده ممتلئاً بالقطع الذهبية، وفي اسفله سيف كذلك السيف الذهبي الذي

يحتفظ به الرحالة . . ولما لمحت الشك في عينيه غادرت فراشها، وأخرجت له صندوقاً غريب الشكل من الخشب المعطر وفتحته ، وشاهد بنفسه الثروة الكبيرة التي بداخله ، ولما فحص السيف وجده مطابقاً تماماً ، وصورة دقيقة ، للسيف الذي عثر عليه . . سألها عن أقرب البلدان إليهم ، وعلم أنه على مقربة من حدود دولة أفغانستان ، وعلم كذلك ان كهنة هذا الدير من المجوس ، وكثيراً ما تعرضوا لجحافل جيوش الدول المجاورة، وفي كل مرة كان المهاجمون يضربون حولهم حصاراً ، يستمر طويلاً ، دون ان يتمكنوا من اقتحام أسوار ديرهم المنيعة في مكانه المرتفع الحصين ، الذي جعلوه أمنع من عقاب الجو . وفي كل مرة كان الغزاة يرتدون عنه خائبين بعد ان يفقدوا في الحرب المحدودة التي تدور بينهم وبين سكان الدير أثناء الليل، الكثير من جندهم . . وعقب هذه الحروب،وفي كل صباح كان الأهالي يهبطون إلى الوادي ويصعدون إلى المكان ، الذي دارت فيه المعركة ، ليلتقطوا المزيد من هذه السيوف الذهبية والحراب والدروع، التي كانت بدورها من خالص الذهب المرصع . . وقد تجمعت لدى الأهالي كميات كبيرة من مخلفات الحروب هذه ، حتى ضاقت بها مساكنهم ، فاجتمعوا وقرروا الاحتفاظ بها في مكان واحد ريثما تنجلي الأمور ويغادرون المكان ، الذي شمله الرعب وتكررت فيه الحروب والغارات . . وتم نقل هذه الثروة الضخمة ، ودفنوها في مكان تطوعت وأخذته إليه ليرى بنفسه أنها لم تكذبه الخبر . .

ولما سألها عن مصير الأهالي علم منها الحقيقة الرهيبة . . لقد دفنوا

تحت الأحجار ، ليلة وقوع الهزة ، ولو لم تصب بتلك الوعكة ، التي ألمت بها ، للاقت المصير عينه ؛ فقد جرت العادة أن يغادر الجميع مساكنهم في رحلتهم عبر الوادي لجمع الثمار البرية الكثيرة والصيد ، وتستغرق أمثال هذه الرحلات اسبوعاً ، في كل مرة . . وقرر الرحالة أن يتزوج من الفتاة ويعمل على نقل هذه الثروة الطائلة إلى بلاده . .

وبدأ بأن شيّد مخبأ متيناً، في أسفل الجبل وداخله على شكل مغارة آمنة وضع الثروة بداخلها ، وسدها باحكام ورسم لها خريطة بدائية واضحة بعد أن احتفظ بجزء من الذهب وغادر المكان مع الفتاة ، التي أصبحت زوجته وسعى لمعرفة حقيقة الدولة التي يعيش بين ربوعها ، ولكن معرفته لم تفده شيئاً ، فقد اجتاز بلاد الفرس وركب السفينة إلى بلاده بالمغرب العربي ، حيث شيد منزلاً فخماً كبيراً ، وعاش في بحبوحة مع زوجته الحسناء التي بادلته حباً بحب . . وكان أثناء ذلك يعد سفينة كبيرة ويزودها بكل مايحتاجه في رحلته ، التي قرر القيام بها في الربيع ليعود بالثروة الكبيرة من مكانها البعيد . .

وعاد الخفي إلى الصمت مرة اخرى ، فقال سامح :

- يا لها من قصة . .

وقال جعفر معلقاً :

- إنها كقصص ألف ليلة . .

قال الخفي بشيء من الحدة :

- معنى هذا أنها خرافية ، أليس هذا ما تعنيه يا جعفر . . ؟

بهت جعفر لرنة الغضب في صوته ، ورد مستدركاً :

ـ لم أقصد هذا . .

قال الخفي :

ـ كنت أتوقع أن يسألني أحدكم هل تمت رحلته التي استعد لها كل هذا الاستعداد أم لم تتم . . ؟

ـ أجابه سامح : كنت على وشك أن أسألك .

قال الخفي بصوت هادىء يعرفونه جيداً :

ـ الجديد في الأمر الآن هو ما حصلت عليه ، وما جمعته من معلومات . . إن قصة هذا الرحالة المغربي صادقة في كل حرف فيها ، وقد جرت الأمور بالفعل كما وصف في مذكراته ، وكانت نهايته كذلك مطابقة لما في هذا الخطاب ، الذي عثرت عليه البعثة . .

سألته نهلة :

ـ وكيف يمكن التأكد من صدقه ، وقد مات حاملاً سره معه ؟؟

أجابها الخفي :

ـ لا يا نهلة . . لقد كان لهذا الرحالة عقل فريد ذكي فاستطاع أن يترك لمن يجيء بعده ، خطابه الأخير هذا ، الذي قرأت بعض ما جاء فيه ، وإن أخفيت عنكم جزءاً هاماً يدل على شدة ذكاء هذا الرحالة . .

سألته فتنة :

ـ ولماذا أخفيته . . ؟؟ ألا يجب أن نعرف إلى أي نهاية انتهت هذه

القصة الغريبة . .

قال الخفي :

ـ إن هذا الخطاب في حوزتي ، وقد قمت بشرائه كمخطوط أثري ، ودفعت له ثمناً ألفاً من الجنيهات ، ولن أبالغ في حديثي إذا قلت لكم أن هذا الخطاب ، وبعد أن فككت رموزه الخفية ، أصبح يساوي الملايين . .

ـ ازدادوا إعجاباً ولهفة ، فقال فيصل :

ـ إلى هنا وكل شيء كان يسير منطقياً ومعقولاً . . أما كون قصاصة الورق هذه تساوي الملايين ، فهذا هو العجيب فعلاً . .

قال الخفي :

ـ لكم أن تشكوا في قيمة ما أقول ، فالأمر كله غريب لا يصدق . . ولكن لو علمتم أنني اكتشفت أن هذا الخطاب ما كتب إلا للتمويه والتعمية . .

هتفت نهلة مشدوهة :

ـ للتمويه . . ؟؟ كيف . . ؟؟

أجابها الخفي :

ـ اكتشفت أنه رسم على الورقة رسماً مفصلاً لمكان المغارة التي بداخلها الكنز . . بالطبع كان الرسم بالحبر السري المستخرج من البصل . .

قال سامح بإعجاب :

ـ إن الروعة في كل هذا هو اتجاه ظنك إلى هذه الناحية المستبعدة . . ما الذي جعلك تفكر في احتمال وجود خريطة رسمت بالحبر السري . .

قال الخفي :

ـ شكراً يا سامح ، ولكن قد تقل حماستك قليلاً إذا عرفت أنني لم أفكر في وجود خريطة ، ولا شي من هذا . .

خالوه يتواضع أو يمزح ، فقالت سميرة :

ـ من فكر إذاً . . ؟؟

أجابها الخفي :

ـ المصادفة وحدها هي التي كشفت الأمر . . ولذلك قصة لا بأس من إخباركم بها .

وسكت الخفي مرة أخرى للحظات ثم قال متابعاً :

ـ كنت أتفرس في الخطاب ، بعد وصولي إلى المنزل ، وأفحصه بدقة مستعيناً بعدستي المكبرة وبالنور القوي ، المسلط من مصباح المكتب . . ورن جرس المنزل ، وحضر بعض الزوار فانشغلت بهم قرابة الساعة ، وكان الخطاب في مكانه والضوء القوي مسلط عليه . . وعندما عدت بعد انصراف الزوار ، لمتابعة فحصي ، وقفت مشدوهاً وأنا أنظر إلى الخريطة التي أظهرتها الحرارة الشديدة على ظهر الورقة . .

وسكت الخفي ، فقال سامح :

ـ عجيب . .

استمر الخفي في حديثه :

ـ وبذلك لا فضل لي في هذا الكشف الذي ما كان ليخطر ببالي على الإطلاق . .

سأله مازن :

ـ سمعتك تقول إن الخريطة رسمت بطريقة بدائية . . هل معنى هذا أنها لا تدل على المكان الذي عناه الرحالة عندما قام برسمها . . ؟؟

أجابه الخفي :

ـ سؤال وجيه يا مازن . . إن الخريطة بصورتها الحالية ، وبدون إلمام بكل ما جاء على لسان الرحالة ووصفه للمكان ، تصبح عديمة الفائدة ولا تدل على شيء . .

قال جعفر :

ـ ولكن بالنسبة لك فالأمر يختلف لأنك على علم بكل ما كتب .

قال الخفي :

ـ تماماً . . ولهذا قررت استخراج هذا الكنز من مكانه ، وستقومون أنتم بهذه المهمة . .

كانت مفاجأة لم يتوقعوها فأذهلتهم ، حتى أن سميرة لم تتمالك روعها وقالت :

ـ وهل يعقل هذا . . ؟؟ أتنتظر حقاً العثور على المكان . . ؟؟

أجابها بصوت قاطع :

- إذا لم تسبقنا يد إلى الكنز فسنعثر عليه لا محالة . .

قال سامح بعد أن تمالك روعه :

- وما هو المطلوب منا الآن . . ؟؟

أجابه الخفي :

- سترحلون إلى إيران ، ومن هناك ستقومون برحلة لتسلق الجبال . ومتى صرتم قرب المكان ستتعاون في الوصول إلى المكان المنشود . .

سأله مازن :

- هل ستكون رحلتنا بالزورق ؟ فنحن جميعاً تواقون للبدء بهذه المغامرة الرائعة !

أجابه الخفي :

- لا يا مازن . . سيكون رحيلكم بالطائرة ، ولا مكان للفتيات في هذه الرحلة الشاقة . .

عبست وجوههن وظهر عليهن الضيق للقرار وقالت فتنة :

- مهما بلغت المشقة فنحن لها .

أجابها الخفي بصوت قاطع :

- لا يا فتنة . . ستعرفون في الوقت المناسب أن الأمر أقسى مما تتصورون بكثير ، وقد يتعرضون إلى مخاطر كبيرة تحتاج لجلد وقوة احتمال مهما توفرت فيكن فإنها لا تكفي . .

قال سامح :

- ومتى سيكون الرحيل . . ؟؟

أجابه الخفي :

- تحملون بنادق الصيد ، فالطريق مليء بالوحوش الضارية ، وسيكون الرحيل في تمام العاشرة . . ستصلكم بطاقات السفر مع رسولي إليكم الذي سيحملكم في سيارته إلى المطار . .

سأله مازن :

- هل نحمل معنا أسلحتنا الليزرية . .

ولدهشتهم أجاب بهدوء :

- كلها . . إحملوا كل ما يعينكم في الصراع ، فالأعداء كثيرون ولا زالوا مجهولين لنا ، ولا نعرف منهم إلا وحش الغابة والجبل . .

قال جعفر :

- ولكن قد نتعرض لمتاعب أثناء التفتيش بالمطار سواء هنا أو في مطار طهران . .

أجابه الخفي :

- أعرف هذا . . ستتركون كل ما معكم للرسول الذي سيسلمكم بطاقات السفر ، وسيتكفل هو بحملها حتى يتم تسليمها لكم قبل أن تبدأ الرحلة . . ولعلمكم . . ستكون هناك طائرة هيليكوبتر في انتظاركم ، وهي التي ستحملكم حتى منطقة الوديان . . وسيكون قائدها هو بعينه رسولي إليكم ، فثقوا به ثقتكم في شخصي ، لأنه خبير

بتلك المنطقة من العالم ، بل يعتبر حجة في هذا الشأن لسعة اطلاعه كما ستلمسون ذلك بأنفسكم . .

أجابه جعفر :

ـ ولكني على موعد للقاء أخي الذي سيحضر خصيصاً من كندا لزيارتي . .

أجابه الخفي :

ـ أنا لم أنتهِ بعد من حديثي يا . . لو انتظرت لحظات لعرفت أنك ستبقى ومعك رجب وعلي . . ستتغيب أنت مع شقيقك ويبقى علي ورجب برفقة الفتيات بالمخبأ . .

ظهر الضيق على وجه رجب ،ونظر بغضب إلى علي الذي لم يهتم كثيراً لهذا القرار ، لأنه يدرك أنللخفي فلسفته الخاصة وعلى ضوئها يقوم بتوزيع الأدوار عليهم . . وهنا أو هناك فالأمر سواء . . إنه عمل مترابط يكمل بعضه البعض . .

قال بومدين :

ـ بالطبع سنحتاج إلى لوازم الرحلات الجبلية . .

أجابه الخفي . .

ـ ستجدون كل ما يلزم في رحلتكم معداً بدقة ، فلا تشغلوا بالكم في التفكير بأي شيء . .

قال فيصل :

ـ علينا إذن الاستعداد ، فقد اقترب موعد الرحيل . .

أجابه الخفي :

ـ ألا تكفيك ساعتان يا فيصل ؟ . .

وسكت برهة ، ثم قال متسائلاً :

ـ هل يرغب أحدكم في السؤال عن أي تفصيلات . .

أجابوه معاً :

ـ لا . . .

قال الخفي :

ـ سيكون اتصالي بكم عن طريق جهاز استقبال سيسلمه لكم مرافقكم . . على فكرة . . إسمه جاد ، وهو أفغاني الأصل من مواليد أفغانستان ، وفي شبابه قام بالكثير من الرحلات إلى هذه الأماكن . . إنه الآن معي هنا في بيروت وسيرحل قريباً . .سأتركم الآن واتمنى لكم رحلة ممتعة وتوفيقاً لا حدود له . .

وانتهى الخفي من أطول مكالمة أجراها معهم منذ عملوا معه . . فقالت وسيلة بحزن :

ـ ليتني ولدت صبياً . .

ضحك جعفر وقال :

ـ وأنا بعكسك كنت أتمنى لو خلقت فتاة . .

قال مازن بمرحه المعهود :

ـ لقد كان الله بعباده رحيماً . . يا إلهي . . هذه السحنة تركب على جسد فتاة . . ؟

نسوا كل شيء واستغرقوا في الضحك ، عندهـا أردف مازن :

ـ فلنستعد . . إن الوقت يسرقنا . .

وتفـرقوا في أرجـاء المخبأ ، وظلت الفتيـات في أمـاكنهن سـاهمـات مفكرات حتى قالت نهلة بضيق :

ـ لماذا هذا التمييز . . ؟؟ ألسنا مثلهم قوة وجلداً . . ؟؟

أجابتها وسيلة :

ـ تـأكدي أن الخفي لم يفصـح عن كل شيء ، ولا شـك أن هنـاك سبباً ما دفعه لاتخاذ هذا القرار . .

قالت سميرة :

ـ هذا ما تأكدت منه . . وهل سبق أن نحّـانا عن العمـل معهم أو ميزهم علينا . . ؟

تنهدت نهلة وقالت بحزن :

ـ أكثر ما أعشقه في الحياة هو الرحلات من هذا النوع . .

ضحكت وسيلة وقالت :

ـ سنستـأذن الخفي ونخرج في رحلة بحـرية للصيـد والاستجمام ، وبذلك لا نشعر بغيابهم . .

رحلة إلى المجهول

هبطت الطائرة في مطار طهـران الدولي في جـو قارص البرودة ، وكان كل منهم يحمل حقيبته الصغيرة وقد تدثروا بمعاطفهم الثقيلة . .

انتهت الإجـراءات وغادروا المطار إلى الخارج ، فتقـدم منهم جـاد الذي أدهشهم ظهوره ، فقد تركوه خلفهم في بيروت . .

قال جاد باسماً :

ـ لا تدهشكم رؤيتي فتنظرون إلي وكأنكم تنظرون إلى شبح . . ثم تابع قائلاً :

ـ لقد جئت إلى هنا في صحبة طيار مـاهر ، وبـطائرة تـطير بسرعـة الصوت . .

سأله جعفر :

ـ وأين عثرت على هذا الطيـار ، الذي نقلك إلى هنـا في مثل هـذا الجو . . ؟؟

تنهد جاد وقال :

ـ أنا لم أعثر عليه بل هو الذي فعل . ولما حاولت أثناء الطريق استدراجه للحديث معي لم أفلح في ذلك واستمر في صمته . . أتدرون أنني، بعد أن وصلت إلى هنا ، وتركته في هذه الساحة الصغيرة التي استعملها كمطار ، عرفت من هو . . ؟

تطلعوا إلى وجهه الداكن متسائلين وقال مازن :

ـ من . . ؟؟تعرفت عليه ؟ من هو ؟

أجابهم وهو يشير إلى إحدى سيارات الرانج روفر :

ـ كان طياري الممتاز هو الخفي بعينه . .

هتفوا بدهشة :

ـ الخفي . . ؟؟

هز جاد رأسه وقال :

ـ نعم ، وقد تفضل بكشف شخصيته وهو يلوح لي مودعاً . .

سأله فيصل :

ـ هل رحل بالطائرة مرة أخرى . . ؟؟

أجابه جاد :

ـ كان يجب أن يفعل ذلك فإنه استعمل ساحة معبّدة بين الحقول للهبوط ، ولو بقي فيها حتى الصباح لاكتشفوا وجود الطائرة .

كانت السيارة متسعة مزودة بكل ما يحتاجونه ، وعلى سطحها حقائب ومعدات كثيرة حزمت جيداً بالمشمع ليحميها من البلل . .

تولى جاد القيادة وقال :

ـ سنبدأ رحلتنا على الفور . . ستجدون أسلحتكم الخفيفة في هذه الحقيبة التي تحت قدميك يا أخ فيصل . .

امتدت يد فيصل إلى الحقيبة ففتحها واستخرج منها مسدساتهم الرهيبة ووزعها عليهم . . وقال جعفر :

ـ إن الجو في غاية السوء . .

أجابه جاد ببساطة :

ـ وهذا ما دفعني للرحيل على الفور . . سيكون طريقنا حتى نقطة الانطلاق شبه خال في مثل هذا الجو العاصف ، وهذا يبعدنا عن أعين الفضوليين وما أكثرهم . .

واستمرت الرحلة في جو عاصف ممطر ، وقد أثبت جاد أنه سائق ماهر يندر وجود أمثاله ، ولم يدخر وسعاً ، طوال الطريق ، في تزويدهم بالشاي والقهوة الساخنة ، وهو يبادلهم الحديث في كل شيء إلا في وجهتهم التي لا يعرفون عنها شيئاً ، أو حتى عن تفصيلات الرحلة وطبيعتها . . وبدورهم لم يحاولوا سؤاله حتى خفف من سرعة السيارة فجأة وقال :

ـ لم يبق على الفجر إلا أقل من نصف ساعة وعلينا أن نأوي إلى مكان يحجبنا عن الأنظار . .

سأله بومدين :

ـ ولماذا نختفي . . ؟؟

أجابه جاد :

ـ لأننـا في منطقة تجرى فيها حفريـات ، وقد تم العثـور أخيراً عـلى آثار لا تقدر بثمن ، ويتوقع علماء البعثة أنهم في طريقهم لكشف أثري كبير . . عندما شاع الخبر بادر الكثيرون إلى المنطقـة ، لعلهم يوفقـون في العثور على بعض هذه الآثار الثمينة ، ولكن رجال البعثة ارتابـوا في أمـر تسكّعهم ، دونمـا سبب ، حـول مكـان الحفـريـات ، وأبلغـوا السلطات التي طردتهم وحظرت دخـول المنطقـة إلا لمن يحمل تصـريحاً بذلك . .

قال فيصل :

ـ هل سنقضي يومنا مختبئين لنعاود السير أثناء الليل . . ؟

أجابه جاد بغموض :

ـ لم أقـل هـذا . . يجب أن نخـرج من هنـا دون أي احتكـاك بالسلطات . . لذلك سأترككم هنا ، تنعمون ببعض الراحة ، وأذهب راجلاً لاستكشف الطريق . .

قالها واستدار بالسيارة مخترقـاً أخدوداً بـين ممرات الجبـل ، وفي ظل صخرة كبيرة أوقف السيارة وقال :

ـ ريثما تعدون ما نأكله سأصعد الجبل لأرى ما حولنا .

ولم ينتظر . . واتجه مسرعاً نحو القمة متسلقاً الأحجار ببراعة وخفـة تلفتان النظر حتى قال جعفر بإعجاب :

ـ انه يقفز كالفهد المتوثب . .

كان سامح يتأمله في الضوء الشاحب مفكراً ثم تنهد وقال :

ـ لست أدري لماذايخامرني إحساس بالقلق من هذه الرحلة .

كانت كلماته غريبة على آذانهم ، خاصة وأن من يرددها هو رفيقهم سامح ، الذي لا يعرف الخوف قلبه . . قال بومدين بجدية :

ـ هل يدهشك أن تعرف أنني أعاني من الإحساس عينه . . ؟؟

ضحك مازن وهز رأسه بحيرة وقال :

ـ ما هذا الذي أسمعه . . ؟

وقال فيصل ساخراً :

ـ دعونا من هـذه الخرافـات والأراجيف . . هيا لنعـدّ وجبة تعيننـا على ما سنبذل من جهود . .

دون تعليق تعاونوا في إعداد وجبة ساخنة ، ولما انتهوا قال سامح :

ـ سننتظر جاد أليس كذلك . . ؟؟

أجابه فيصل :

ـ ولماذا ننتظر . . نأكل ونترك له نصيبه جانباً . .

كانت المائدة الصغيرة منسقة ببراعـة ، وعندمـا جلسوا حـولها عـلى المقاعد القماشية قال جعفر :

ـ لست أدري متى يكشف لنا الخفي عن شخصيته . . هـل يثق في أمثال جاد أكثر من ثقته فينا . . ؟؟

أجابه بومدين ، وهـو يتناول قـطعة من اللحم المشـوي ويضعها في صحنه :

ـ وهل كشف له شخصيته . . ؟؟ إن تواجـده معه في مكـان واحد

لا يعني بحال أنه كشف له عن شخصيته الغامضة . .

قال جعفر :

ـ ولكنه على الأقل رأى وجهه . .

ضحك سامح وقال :

ـ وهل نسيت أن الخفي التقى بنا مرات عديدة ، ورأيناه فيها عن كثب ، ومع ذلك كانت شخصيته تختلف في كل مرة عن سابقتها . .

أجابه فيصل :

ـ إنه في نظري أبرع من تنكر . . انه لا يبارى في هذا الميدان .

ولمحوا جاداً يهبط على عجل وهو يلوح بيديه فقال جعفر :

ـ ماذا جرى له . . . ؟؟

وصل جاد لاهثاً ، وقال على عجل :

ـ لا يزال الطريق بعيداً حتى نصل إلى نقطة الانطلاق . . إن الطائرة في انتظارنا هناك . .

سأله مازن برزانة ، وهو يعجب من حالته :

ـ ولكنك تبدو مذعوراً ، فهل رأيت ما سبب لك هذا الذعر . . ؟

أجابه ، وهو يجفف عرقه بالرغم من برودة الجو :

ـ هاجمني ثعبان ضخم . .

سأله مازن :

ـ ولماذا لم تنادِنا . . ؟

ضحك جاد وهو يجلس ليتناول طعامه :

ـ كان الأمر مفاجئاً ، وحمداً لله انني سريع الحركة وإلا لنال مني .

وأتى على طعامه بسرعة وقال :

ـ إن العاصفة تزداد حدة وهذا يسمح لنا بمواصلة الرحلة في أمان . .

وعادوا إلى السيارة ، وتحركوا مرة أخرى والريح العاتية تكاد تلقي بهم في الهوة السحيقة التي يسيرون على حافتها . .

وكانت أقسى ساعات العمر تلك التي قضوها في يومهم العاصف حتى قال جاد بارتياح :

ـ حمداً لله . . لقد اقتربنا من نهاية الرحلة . . إن الطائرة تربض هناك بين هذه الجبال الأربعة . .

سأله جعفر :

ـ وهل باستطاعتك الطيران في مثل هذا الجو العاصف والريح القوية . . ؟؟

أجابه جاد وبصره لا يحيد عن الطريق الوعر :

ـ لا يمكنني الجزم في هذه اللحظة . . المطلوب منا في يومنا هذا هو الوصول إلى الطائرة . .

سأله فيصل :

ـ وماذا بعد أن نصل إليها . .

هدأ جاد من سرعة السيارة وقال :

ـ نقضي الليل ، وفي الصباح الباكر نبدأ . .

وهبطت السيارة في طريق غير معبد ، تحف به الأخطار من كل جانب ، ومع ذلك نجح جاد في الوصول إلى بطن الوادي ، حيث شاهدوا الهيليكوبتر الكبيرة تقف شامخة . .

على مقربة من الطائرة أوقف جاد السيارة واستدار إليهم باسماً وقال :

- يمكنني تهنئتكم الآن فقط بسلامة الوصول . .

ضحك بومدين وقال :

- أي سلامة . . ؟؟

ضحكوا من القفشة فقال جاد :

- هذه التي وصلنا إليها . . لو عرفتم أننا كنا، وفي كل لحظة، منذ غادرنا طهران معرضين لأخطار مميتة ما فكرتم في الهزر ولاعتبرتم أن وصولنا إلى هنا سالمين أمر يجب أن نشكر الله عليه . .

كان يتكلم بانفعال أدركوا معه أنه جادٌّ فيما يقول لذلك قال مازن :

- جاد . . لقد أصبحنا اخوة ويجب أن تعرف بعض طباعنا حتى لا تفسرها حسبما اتفق . . إننا وعلى الدوام ، وبلا أي استثناء ، نعالج عصبيتنا بالنكتة والقفشة ، فلا تغضب من هذا وخذ الأمور ببساطة مثلنا . .

قال جاد ، وهو ينظر إلى الغطاء المشمعي الذي يغطي الطائرة :

- يجب أن نرفع الغطاء فننام داخل الطائرة أفضل من المبيت داخل السيارة . .

تعاونوا على رفع الغطاء واخذوا في نقل متاعهم من السيارة إلى داخل الطائرة الواسع . . وعندما انتهوا أغلق جاد باب الطائرة وقال :

- الآن يمكنكم أن تتناولوا طعامكم وتناموا حتى أوقظكم في الصباح . .

أجابه جعفر :

- أنت تتكلم عنا وكأنك لست منا . .

ابتسم جاد وقال :

- هذا صحيح ،لأنني سأغادركم بعد قليل لاستكشف المكان قبل الغروب . .

قال سامح :

- وماذا ستكتشف فيه . . إننا من مكاننا هذا نرى النملة لو فكرت في الهبوط إلينا . .

اتسعت ابتسامة جاد وقال :

- أنا لا أخشى من البشر إنما من حشرة معينة قاتلة . . إن لدغتها تصعق ضحيتها في ثوان وهي كثيرة منتشرة في هذا الوادي . .

سأله فيصل باهتمام :

- وكيف تبدو هذه الحشرة حتى نحترس منها إذا شاهدناها في أثناء غيابك . .

أجابه جاد :

- إنها في حجم الجرادة ولونها أحمر قاتم وتنتهي مؤخرتها بذنب

كذنب العقرب تلدغ به ضحيتها . .

قال سامح :

ـ إنها تطير إذن . .

هز رأسه موافقاً وقال :

ـ نعم ولكن لمسافات قصيرة . .

قال جعفر :

ـ إذن، لماذا تخشاها إلى هذا الحد . ؟ يمكننا إحكام إغلاق النوافذ حتى نرحل من هنا . .

ضحك جاد بغموض وقال :

ـ ولكن يجب أن أحضر الفخ فإنه سيرافقنا في رحلتنا كأمضى سلاح نملكه . .

تطلعوا إلى وجهه بغباء وقال سامح :

ـ هل فهم أحدكم ما يعنيه جاد . . ؟؟

اتسعت ابتسامة جاد وقال :

ـ هذا الفخ قد يكون اللحظة ممتلئاً بالحشرات ، وهذه ستصحبنا في رحلتنا داخل صندوقها حتى نستعملها في الوقت المناسب ، إذا احتاج الأمر ذلك . .

سأله فيصل :

ـ ولكن ضد من سنستعملها طالما أن سمها قاتل كما تقول . . ؟؟

كانت إجابته غامضة عندما أجابه قائلاً :

ـ ضد عدو يعتقد الخفي انه ليس من بني البشر . .

هتف بومدين باستغراب :

ـ ماذا . . ؟؟ ليس من بني البشر . . ؟؟ من الجن إذن . . ؟ يا له من حديث طريف . .

لم يأبه جاد للحديث الساخر الذي استقبل به بومدين كلماته واستمر يقول :

ـ لقد عملتم مع الخفي وقتاً طويلاً فهل عرفتم عنه القول الهراء . . ؟؟

أجابه سامح عنهم بتوكيد :

ـ بل عرفنا عنه الصدق والواقعية . .

قال جاد بهدوء :

ـ إذن ،فعندما يقول الخفي إنه يدّخر حشرات «اليسفا» لاستعمالها ضد عدو شرس لا يعرف الآدمية ، فيجب أن نستقبل قوله هذا بكل اهتماموعناية ، فإنه أعلم منا جميعاً بمجريات الأمور . .

قال جعفر :

ـ لا بأس . . أهم ما في الأمر هو إغلاق باب قفصها بإحكام حتى لا تتجول داخل الطائرة وتساعدنا في الرحيل إلى الآخرة . .

قهقه جاد بصوت مرتفع يدل على أنه بدوره مرح يقابل الملمات بثبات . . وشاركوه الضحك حتى قال :

ـ الآن إلى الطعام، فقد وفّر لنا الخفي كل ما لذ وطاب وثلاجة

الطائرة بالرغم من اتساعها ممتلئة حتى بابها . .

وبمرح والنكات تتطاير من شفاههم تناولوا وجبة طيبة ، ثم تفرقوا على المقاعد المريحة واستسلموا للنوم في هدوء ، وكأنهم في عقر دارهم . .

أما جاد فقد ظل يرقب الظلام في الخارج بعين يقظة لا تغفل وهو ممسك ببندقيته المثبت عليها منظار غريب الشكل . . كان يتطلع حوله بقلق وكأنه ينتظر أمراً معيناً . . وفجأة سلط بصره على أشباح يلفها الظلام وقد سربلها السواد وهي تتحرك بحذر . . كان قد أطفأ كل أنوار الطائرة ، واعتادت عيناه رؤية ما يجري خارج الطائرة بوضوح ، فألصق وجهه بالزجاج وحمد للقمر إرساله شعاعاً دقيقاً من بين الغيوم الكثيفة ، وعرف أنهم مقنعون قصار يرتدون ثياباً سوداء فضفاضة ويمسكون بأيديهم سيوفاً براقة . .

مد جاد يده ولكز جعفراً، وكان أقرب الجميع إلى مكانه ، ففتح عينيه المحمرتين ونظر إليه فقال :

ـ تعال إلى جواري يا جعفر . .

قفز جعفر من مكانه بحركة سريعة ، ونظر من النافذة فقال جاد :

ـ أنظرجيداً . . هل هؤلاء من البشر . .

حملق جعفر باستغراب في هذه المخلوقات وقال :

ـ يبدون وكأنهم أقزام . . أهؤلاء هم سكان الدير . . ؟؟

أجابه جاد وعينه لا تغفل عن مراقبة ما يدور في الخارج :

ـ أعتقد أنهم منهم . .

قال جعفر بحيرة :

ـ ولكنك تقول إننا لا زلنا بعيدين عن مكان الدير، وسنرحل إليه في الطائرة . .

التفت إليه جاد وقال :

ـ هذا صحيح ، ولكن يبدو أن هؤلاء الأقزام ، كما وصفهم الخفي ، لا يستقرون في مكان واحد ، ويرسلون منهم مجموعات للغزو والقاء الرعب في القلوب بين الحين والآخر ، حتى لا يتجاسر طامع على مهاجمتهم عاملين بمبدأ الهجوم خير وسيلة للدفاع . .

قال جعفر بدهشة :

ـ ولكنهم حسب قولك يكونون قد قطعوا مسافة طويلة من ديرهم إلى هنا . .

قال جاد :

ـ ليتك توقظ رفاقك ليروهم ونستعد للقائهم إذا فكروا في مهاجمة الطائرة . .

وفي ثوان كانوا جميعاً ينظرون إلى هذه المخلوقات التي كشف ضوء القمر عنها وعن عددها الكبير بوضوح . . قال بومدين :

ـ إنهم لا شك قبيلة بدائية من الأقزام . .

أجابه مازن :

ـ ولكن ماذا يحملون في أيديهم غير السيوف . . أنظروا جيداً . .

أراهم يحملون كرات متشابهة . .

أجابه جاد بقلق :

ـ نعم ! وهذا ما يجعلنا مجبرين على البقاء داخل الطائرة ، ولا نرد عليهم هجومهم إذا ما هاجمونا . .

التفت إليه فيصل بحدة وقال :

ـ ما معنى قولك هذا ؟ . . ألا ندافع عن أنفسنا ضدهم . . ؟؟

أجابه جاد :

ـ إنهم يملكون سلاحاً فتاكاً روضوه ليحل محلهم في إشاعة الفوضى والموت فيمن يرغبون إخافتهم . .

سأله جعفر :

ـ أي سلاح هذا . . ؟؟

ـ إنها حشرات «اليسفا» , , إنهم يحملونها داخل هذه الأقفاص بعد أن توصلوا لترويضها على مهاجمة من يوجهوها نحوه . .

ظهر الرعب على وجه مازن وهو يقول مستنكراً :

ـ يا إلهي . . وهل يمكن ترويض الحشرات . . ؟؟

قال فيصل :

ـ إن حملهم لها يدل على ذلك . .

قال جاد :

ـ انتظروني لحظات . . إن الخفي لم يغفل تزويدنا بكل ما يرجح كفتنا . .

وغاب داخل مخزن الطائرة فقال فيصل :

ـ إنها معركة جديدة في كل شيء . . في أسلحتها وفي نوعية الأفراد الذين سيخوضونها . .

قال جعفر :

ـ إنهم عدو رهيب يجعلوننا تحت رحمتهم حتى ينصرفوا من هنا . .

ـ قال بومدين :

ـ ولكني أراهم بالرغم من كثرتهم يخشون مهاجمتنا .

قال فيصل :

ـ لا زال الليل في أوله ولا ندري ما هو مخططهم . .

عاد جاد حاملاً أسطوانة ثقيلة من أسطوانات الغاز ، وضعها في منتصف الطائرة واخذ يثبت فيها خراطيم من المطاط تنتهي بما يشبه دوش الحمام . ولما انتهى كان في يد كل منهم خرطوم ،وأخذ جاد في شرح أمرها فقال :

ـ بداخل الأنبوبة غاز قاتل مبيد للحشرات بسرعة تصل إلى جزء من الثانية ، وسيكون هذا هو سلاحنا المضاد إذا ما اطلقوا علينا حشراتهم القاتلة . .

قلّب جعفر الرشاشة بين يديه يفحصها ثم قال :

ـ ولكن ألا يحتمل أن يتسرب بعضها حياً إلى داخل الطائرة من النوافذ التي يتحتم علينا فتحها . .

أجابه جاد بأن قفز إلى مكانه قرب النافذة وأشار للجميع ليقتربوا منه . . أشار إلى شبه دائرة تكفي لإبراز الرشاشة منها وقال :

ـ سنثبت رشاشاتنا في كل النوافذ ونغلق هذه الفجوة الضيقة التي تحيط بالخرطوم . . هكذا . .

وحقاً كان هذا الاحتياط يدعو للإعجاب فلم يكن هناك منفذ لتسرب نملة صغيرة . .

سأله جعفر :

ـ وماذا بعد . . ؟؟

أجابه جاد :

ـ إذا اطلقوها فتحنا صنبور الغاز فيفتك بها فتكاً سريعاً . .

قال فيصل بشك : :

ـ ولكن يجب أن نحتمل هرب بعضها ، وفي هذا ما فيه من خطورة . .

أجابه سامح :

ـ حتى لو هرب بعضها ، كما تقول ، فمن أين يأتينا خطرها طالما أننا داخل الطائرة . . ؟

أجابه إجابة أدهشته :

ـولكننا سنكون في الخارج لبرهة على الأقل . .

سأله جاد :

ـ ولماذا نكون في الخارج ؟ . .

أجابه فيصل بحزم :

ـ يجب أن نأسر واحداً من هؤلاء الأقزام لنعرف من هم ؟ . .

نظروا إليه جميعاً باستغراب لا يخلو عن إعجاب وقال جعفر مؤيداً :

ـ إن فيصل على حق . . لو تمكنّا من أسر واحد منهم فسّر لنا الكثير عن أعدائنا . . لا تنسوا أنهم قوم تمكنوا من البقاء مايزيد عن ألف عام .

قال جاد بقلق :

ـ ولكن ذلك مستحيل . .

قال فيصل وهو يبتسم :

ـ وما وجه الاستحالة فيه . . ؟؟ أذكر أننا نحمل بعض قنابل الغاز المخدر . .

أجابه جاد :

ـ نعم ولدينا منها صندوق كامل . .

تنهد فيصل بارتياح وقال :

ـ عظيم . . . سنلقي ببعضها عليهم ومن يسقط يمكن أسره بسهولة . .

قطع عليهم صوت الخفي نقاشهم فجأة وسمعوه يقول بغضب :

ـ ما هذا الذي تفكرون فيه . . ؟؟ من قال إننا سنهاجم . . ؟؟ دعوهم وشأنهم وعليكم بارتداء الملابس التي أعدت لكم في الحقائب الزرقاء . . في حالة الضرورة القصوى ، وعندما لا يكون هناك حل آخر اخرجوا لهم . . أما أن نبدأ نحن بالهجوم فلا . . سأتصل بكم مرة أخرى ، وأنا أتتبع الموقف بطريقتي الخاصة . .

بدت عليهم الدهشة . . إنه يتحدث وكأنه بينهم ، يرى ما يرون ويسمع ما يقولون . . إن الامر ليس غريباً على مقدرة الخفي الجبارة ، ولكن كيف وصل إلى المكان وقد خلّفوه ، كما يقول جاد، داخل طائرته . . ؟؟

قال جعفر بدهشة :

ـ عجيب والله . . عجيب . .

أجابه سامح :

ـ أين هذه الحقائب التي تحدث عنها . .

وقف جاد وقال :

ـ سأحضرها . .

وعاد جاد حاملاً عدة حقائب صغيرة نوعاً ما، ومع كل حقيبة رأس من السلك ، كتلك التي يرتديها لاعبو الشيش والتي تحميهم في أثناء المبارزة . .

وأسرع بفتح حقيبته وإخراج ما بداخلها . . كانت بدلة من قماش ثقيل من الجلد وقفاز طويل . . وقال :

ـ إنها مزيج من بدلات رجال الشيش وجامعي العسل من خلاياه . .

قال سامح بإعجاب :

ـ إنه لا يغفل شيئاً . كأنه كان على علم بأمر هذه الحشرة من قبل . .

ضحك جاد وقال :

ـ إنه يعرف كل شيء ولولا تحذيره لي لكنت ضحية واحدة منها هاجمتني . .

عادوا ينظرون الى خارج الطائرة وشاهدوا ، وكلهم دهشة ، حركة بين صفوف الأشباح الصغيرة ، ثم لاح بينهم إنسان بالحجم الطبيعي ، وإن كان بدوره يرتدي ثياباً سوداء تجمعوا حوله برهة . . وعلى أثر حديث سريع تبادله معهم أسرعوا في غير نظام مبتعدين ، حتى خلت منهم الساحة في لحظات ، فقال جاد بارتياح :

ـ لقد رحلوا . .

لم يجيبوه ، فقد كانوا يرقبون الأقزام وهم يتسلقون الجبل بخفة ورشاقة وكأنهم قرود . . قال مازن :

ـ يكفي ظهور هذا الرجل بينهم لنعرف أنهم بشر مثلنا ، وواضح أنهم يأتمرون بأمره . .

قال جعفر :

ـ ولكن أين اختفى . . ؟؟

أجابه فيصل :

ـ من حيث جاء . . عندما ظهر لم نعرف من أين أتى . .

قال جاد وهو ينظر إلى ساعته :

ـ يا لها من ليلة طويلة . . إني في شوق لظهور أول خيوط الفجر . .

تنهدوا بارتياح ، وعاودوا الجلوس . . قال بومدين :

ـ إنه أمر محير . . إن ظهور هذا الرجل بينهم يدل على أنه يعرف عنهم الكثير وأنه مسيطر عليهم تماماً . .

قال جاد :

ـ فلنفحص الطائرة . .

ذهب برفقة مازن ، وجلس سامح على مقربة من النافذة يرقب الظلام في صمت وهو مستغرق في التفكير . . قال جعفر فجأة :

ـ أراك مشغول البال . . ما الذي يشغلك . . ؟؟

أجابه سامح :

ـ لست أدري يا جعفر . . الأمور كلها غريبة غير مفهومة . .

قال فيصل :

ـ وأشدها غرابة ظهور هذا الرجل . . إنه يبدو كالملك بينهم . .

أجابه بومدين :

ـ طالما يصلون في تجوالهم إلى هنا ألا يحتمل أنهم نقلوا الكنز من مكانه وذهبوا به إلى مكان قريب من هنا . . ؟؟

أجابه سامح :

ـ هذا في الواقع ما يشغل تفكيري . . إلى أين نحن ذاهبون وقد يكون مطلبنا قريب من مكاننا هذا . . ؟

لوى فيصل عنقه ونظر إليه نظرة طويلة وكأنه يستوعب كلماته . .

ـ وهل هدفنا هو الأقزام أينما وجدوا ، أم الوصول إلى الكنز . ؟

كان التدخل الثاني من الخفي عندما تولى الإجابة قائلاً :

ـ الآن انصتوا إلى ما أقول . . سترحلون مع الخيوط الأولى للفجر ، وسيهبط بكم جاد على سفح الجبل . . في إحدى مغاراته يقبع الكنز الذي جئنا من أجله . .

قال جاد :

ـ وكيف نستدل على هذه المغارة . . ؟؟

أجابه الخفي :

ـ لم أنتهِ بعد من كلامي يا جاد . . في غرفة القيادة ستجد ، في درج الخرائط ، خريطة دقيقة للمكان قمت برسمها نقلاً عن الأصل القديم لأسهل عليكم المهمة . .

قال سامح :

ـ أذكر أنك قلت ، في سياق الحديث ، إن الرحالة أغلق على كنزه المغارة . .

أجابه الخفي :

ـ هذا صحيح . .

استمر سامح يقول :

ـ إذن سيحتاج الأمر للحفر بعد العثور على مدخل المغارة . .

أجابه الخفي :

ـ نعم ستفعلون . . وهذا ما يقلقني في المهمة كلها ، لأنكم ستكونون مكشوفين للأعداء وقتاً طويلاً . .

قال جعفر :

ـ ولكننا سنعمل نهاراً وقلتم إنهم لا يظهرون إلا أثناء الليل .

أجابه الخفي :

ـ كان الأمر قبل أن يظهر بينهم هذا الرجل . . لقد كان ظهوره غير متوقع بالمرة وأنا أجهل عنه كل شيء . .

قال بومدين :

ـ على أي حال سنكون حريصين حتى لا يفاجئونا . . يحفر البعض ويتولى البعض الحراسة .

قال الخفي :

ـ لا تغادروا الطائرة إلا في الملابس الواقية وعلى رؤوسكم الخوذات السلكية . .

دخل جاد ومازن وسمعا آخر كلماته فقال جاد :

ـ إنها مناسبة قد تكون الأخيرة لسؤالك عن أمر هام . . ماذا لو صادفنا في المكان بعض الأهالي . . ؟؟

أجابه بصوت قاطع :

ـ المكان هناك خال تماماً وقد عاينته منذ وقت قصير . . على أي حال سأعاود الاتصال بكم في الصباح . .

قال جاد وهو يجلس متأملاً :

ـ هل تتكرم ، يا أخ مازن ، بإحضار الخريطة من درج الخرائط .

ذهب مازن لإحضارها فقال جاد متابعاً :

ـ كيف وصلت هذه الخريطة إلى مكانها . . ؟؟ أعلم أن الخفي

يعرف الكثير ويتصرف تصرفات عجيبة ، ولكن هذه المرة محير جداً . . كان في بيروت لحظة إقلاعكم منها ، وسبقكم إلى إيران بطائرة جبارة . . كل هذا ممكن ويسهل تصديقه ، ولكن وصوله إلى الطائرة ، وهي هنا منذ أسبوع كامل ، ووضعه الخريطة في درج الخرائط . ؟؟ إنه أمر لا أستطيع تفسيره . .

ضحك جعفر وقال :

ـ ولماذا تشغل بالك في التفكير . . لقد جاء إلى هنا بطريقة ما ووضعها . . المهم هو التفكير فيما جاء فيها . .

عاد مازن حاملاً ورقة مطوية قام بنشرها أمامهم على الطاولة الصغيرة ، وكانت مرسومة بدقة ، وظهر بجلاء المكان الذي عليهم أن يحفروا فيه ليستخرجوا ما خلفه . .

قال بومدين :

ـ إنها واضحة جداً . .

أجابه جاد مشيراً إلى نتوء نوّه عنه الخفي في رسمه :

ـ هذا هو أخطر مكان يمكن مهاجمتنا منه . .

تأملوا المكان الذي أشار إليه بإصبعه ، وقال جعفر :

ـ يبدو انه نتوء يخفي خلفه مغارة صغيرة . .

هز جاد رأسه إيجاباً وقال :

ـ هذا هو . . ولكن الحكم على صغر المغارة أو كبرها أمر لا يمكن معرفته إلا بعد وصولنا إلى هناك . .

قال بومدين ،وهو يتثاءب :

ـ أرى أننا أسرفنا في السهر وأمامنا يوم شاق . . يجب أن ننال بعض الراحة لنستيقظ نشطين . .

كان جعفر أول من أغمض عينيه وهو يقول :

ـ هذا صحيح . . وها أنا نائم فعلاً . .

هجع الجميع واستغرقوا في النوم العميق إلا جاد ، الذي نام نوماً متقطعاً ، حتى لاحت في الأفق أول خيوط الفجر فأيقظهم من نومهم وقال :

ـ سنرحل خلال دقائق . . فلنتناول بعض القهوة والساندويتش . .

وبعد وجبة خفيفة سريعة كان المحرك يهدر بانتظام ورتابة ، وقد اتخذ جاد مكانه خلف عجلة القيادة . وبدأت الطائرة في ارتفاعها العمودي حتى أصبحت على بعد كاف يجنبها الارتطام بالسفوح ، وانطلقت متقدمة إلى هدفها . . كانوا ينظرون إلى الأرض تحتهم دهشين . . لايقع البصر إلا على الأحجار الضخمة وقمم الجبال والوديان العميقة الخضراء،بمافيها من نبات غرس ونما بفعل الأمطار التي تتجمع في قاع الوادي . .

قال سامح :

ـ أمر في غاية الغرابة . . لا أثر لأي كائن حي . . إنساناًكان أو حيواناً . .

أجابه جاد :

ـ إنها منطقة من الخطر البقاء فيها أو سكنها . . إنها قد

تعرضت لسلسلة من الهزات الأرضية على مر العصور ، وعرف عنها ذلك ، فهجرها سكانها بالرغم من خصب أراضيها . .

ولاح على البعد جبل كبير ، فقال جاد :

ـ ها هو الجبل الذي شيّد على سفحه العالي الدير المعلق . .

نظروا كلهم والطائرة تقترب بسرعة من الجبل ، وكلما اقتربوا برزت لأعينهم معالم المكان . . ولما أصبحوا على بعد مناسب شاهدوا أبراج الدير وأسواره المتينة . . كانت عالية شاهقة الارتفاع ، وقد احتضنها الجبل من نواح ثلاثة فظهر وكأنه حفر حفراً في الصخر . .

قال جعفر :

ـ إنه منيع بالفعل . . على من يهاجمه أن يأتيه من واجهته أو من السماء . .

ضحك بومدين وقال :

ـ جرّبوا الدفاع عن ديرهم براً ، ولكن لا اظن أن لهم قدرة على الدفاع عنه من هجوم جوي . .

هتف جاد بعد أن أصبحوا فوق الدير تماماً :

ـ يا إلهي . . أين ذهب الدير . . ؟؟

جاءته الإجابة من فيصل :

ـ إنه أسفلنا . ولكن ما يدهش هو اختيارهم المكان بحيث تلتقي القمم فوقه تماماً . .

أشار جاد بإصبعه نحو مكان قريب من الدير وقال :

ـ يمكننا الهبوط هناك . .

أجابه صوت الخفي :

ـ لا يا جاد . . إبتعدوا عن الدير قدر المستطاع ، فقد تمر الأمور بسلام . أما لو حططتم إلى جوارهم ظنوا أنهم المعنيون ، وربما بدأوكم بالهجوم في وقت لا يخطر لكم ببال . .

قال جعفر :

ـ أرى في أسفل الوادي مكاناً يصلح تماماً لهبوطنا ، وعلى سكان الدير أن يهبطوا إلينا إن فكروا في مهاجمتنا . .

أجابه الخفي :

ـ كنت على وشك إخباركم عن المكان عينه . . إنه أنسب مكان تستطيعون العيش فيه بأمان ، فالنزول إليه كما ترون خطر حتى على هؤلاء الأقزام . .

تساءل جعفر :

ـ ولكن ، كيف سنصعد الجبل وهو على هذه الصعوبة التي تصفها . .

أجابه الخفي :

ـ لا شأن لنا بالجبل الذي يسكنون قمته . . إن ضالتنا هو ذلك الجبل الصغير ذو السفح المنحدر . . أترونه . . ؟؟

كان الجبل ، الذي يعنيه ، يظهر لهم بوضوح ، فقال سامح :

ـ نعم . نراه بكل وضوح . .

قال الخفي :

ـ في إحدى مغاراته يكمن الكنز في انتظاركم . .

كان يتكلم بثقة واطمئنان ، فقال فيصل :

ـ ونحن في شوق للقائه . .

ضحك الخفي وقال :

ـ كونوا باستمرار على استعداد لأي طارىء . . توقعوا هجوماً مباغتاً من هؤلاء الأوغاد ، خاصة إذا كان هذا الذي ظهر بينهم على علم بأمر الكنز ، الذي تحدث عنه الأهالي كثيراً ولقرون عديدة .

قال بومدين :

ـ وفي هذه الحالة ماذا تتوقع . . ؟؟

أجابه الخفي :

ـ لو حدث هذا فسيختلف الأمر تماماً ، وسيكون الأقزام ، وسيوفهم ورماحهم المتبقية ، غنيمة باردة لهذا الرجل ومن معه ، فمن غير المعقول أن يحضر بمفرده في مثل هذه المهمة . .

قال جعفر :

ـ يجب أن نتبين الحقيقة ، وحتى نتأكد ، فأرى أن نستطلع ما يدور داخل الدير نفسه . .

أجابه الخفي بقلق من اقتراحه وقال على عجل :

ـ لا يا جعفر . . أنا لا أغامر بإرسال أحدكم إلى هناك . .

أجابه سامح :

ـ ولكننا ، وبما لـدينا من معـدات ، يمكننا الـذهاب لـلاستكشاف والعودة دون ان نتعرض لخطر ما . .

قال الخفي محذراً :

ـإن هذه المنطقة من الجبال من أكثر الأماكن ازدحاماً بالوحوش التي تسكن بطن الوادي السحيق . . فعليكم ، والحـالة هـذه ، الاستعداد لمقـاومة الـوحوش بـدورهـا ، إذا حملت الـريـح رائحتكم إلى أنـوفهـا الحساسة . .

قال سامح :

ـ إذن فالأفضل ان نتجه إلى هدفنا مباشرة، وعلى ضـوء ما جـاء في الخريطة ، فربما أنجزناه اليوم فنغادر المكان قبل حلول الظلام . .

أجابه الخفي :

ـ لا أعتقـد أن الأمر بـالسهولـة التي تتصورهـا . . لاتنس أن هـذا الغار مغلق منذ أكثر من الف عام . . ونتيجة للزلازل والتقلبات الجوية فلا شك أن أتربة ، وربما أحجاراً ضخمة، قد سدت الطريق إلى بابه . .

قال جاد :

ـ عـلى أي حال سنبـدأ فور الهبـوط مباشـرة في عملية الحفـر ، فقد يساعدنا الحظ ونعثر على المدخل . .

قال الخفي مؤكداً :

ـ لا تعملوا إلا وأنتم مـرتدين المـلابس ، التي أعددتهـا خصيصاً ، عـلى أن تكـون أمضى أسلحتكم في متنـاول أيـديكم . . إني مضـطر

للذهاب في رحلة قصيرة ، قد تفيدكم نتيجتها ، وعليه فـلا تقلقوا إذا تأخر اتصالي بكم بعض الوقت . .

مفـاجآت متتـالية : هبط جـاد بـالـطائـرة هبـوطـاً رائعـاً ، واوقف محركها . . تأملوا المكان ، من داخلها ، وكان ممهداً وكأن يـداً مهدتـه وأعدته خصيصاً . .

فتـح مازن البـاب ، وهو غـارق في مـلابسـه الغـريبـة ، وهبط إلى الأرض . . تلفت حوله بحذر ، ولما لم يقع بصره على ما يريب ، أشار لهم فهبـطوا بدورهم ، وفي أيـديهم أسلحتهم وأدوات الحفر . وتكـرر الصعود والهبوط من وإلى الـطائرة حتى انتهـوا من إعداد كـل لوازمهم وأسلحتهم ، وقـد اختص جـاد بحمـل تلك الأسـطوانــة التي تحـوي الغاز، بالرغم من ثقلها ووعورة الدرب الذي ·سيخترقونه صاعدين إلى مكان المغارات . .

أغلقوا باب الطائرة بإحكام ، وبدأت رحلة الصعود . . كانت أولى المفاجآت ذلك الهجوم المفاجىء من أحد الفهود وأنثاه ، ولكن أشعة الليـزر الرهيبـة كانت أسـرع من قفـزتهم ، التي انتهت بهما إلى مـوت سريع ألقى بهما جثتين هامدتين تحت أقدامهم . .

تأملوهما بوجل ، وقال جعفر :

ـ يا إلهي . . انظروا إلى أنيابهما . .

أجابه بومدين :

ـ إن جلدهما فاخر . . إنتظروني لحظة . .

ووضع ما كان يحمله أرضاً ، وحمل أحدهما وأسرع به إلى الطائرة ،

ثم عاد مسرعاً فحمل الثاني .

قال جعفر وهويبتسم :

ـ يا لبرودة أعصابك يا بومدين . . هل بعد مفاجأتها لنا بالهجوم تفكر في فرائها . . ؟؟

كان بومدين قد عاد ، وهو يبتسم ، فقال فيصل :

ـ ترى هل ستفعل الشيء نفسه إذا ما صادفنا المزيد من الفراء في طريقنا . . ؟؟

نظر إليه بومدين وقال :

ـ عن أي شيء تسأل . . ؟؟

أجابه :

ـ نفرض أننا هوجمنا من الفهود مرة ثانية ، فهل ستحملها وتعود بها إلى الطائرة . . ؟

ضحك بومدين وقال ببساطة اضحكتهم :

ـ في هذه الحالة ، لا مفر من سلخهم على الفور . .

وواصلوا ارتقاءهم الجبل ، ولم يجد لهم جديد ، حتى تجاوزوا ربوة صادفتهم ، وما كادوا يفعلون حتى سمعوا عواءاً مخيفاً ، وقفزت أمامهم مجموعة من الضباع الكبيرة كانت صيداً سهلاً لمسدساتهم الرهيبة . .

تنفس جعفر الصعداء ، وهو يتأمل الجثث القذرة برائحتها النتنة ، وقال مازحاً :

ـ هيا يا بومدين . . ألا ترغب في فرائها بدورها . .

كان بومدين قد ابتعد مسرعاً ، بعيداً عن الرائحة الكريهةالمنبعثة من الجثث . . ولحقوا به وكلهم حذر ، حتى لا يتعرضوا لمزيد من المفاجآت ، ولكن أكبرها كان في انتظارهم عندما اخذت الأحجار الكبيرة تتدحرج من القمة نحوهم ، فصرخ جعفر منبهاً :

ـ أسرعوا، فلندخل إلى هذا الكهف . .

ودخلوا في الوقت المناسب ؛ فقد توالى سقوط الأحجار التي كانت ستسحقهم وتدفنهم أحياء لو لم يغادروا مكانهم . . . . وقفوا يتأملون السيل المنهمر من الأحجار برهبة . .

قال مازن :

ـ إنها لم تسقط عفواً . . إن يداً دفعتها عامدة لتقضي علينا ، ومعنى هذا أنهم تنبهوا لوجودنا . .

كان لكلماته صداها في نفوسهم ، فقال فيصل :

ـ وهذا يعني بدوره أننا سنكون هدفاً دائماً لاعتداءات مختلفة . . كانت الأحجار سلاحهم هذه المرة ، والله وحده يعلم بماذا سيقذفوننا في المرة القادمة . .

أما جاد فقد مد رأسه متلصصاً ، ونظر إلى قمة الجبل ، فلمح عدة رجال يدفعون بالأحجار ، فهتف قائلاً :

ـ إنهم رجال مثلنا . . يوجد منهم الكثير ، فوق سفح الجبل .

وتراجع مسرعاً ، فقال سامح :

- هكذا تتضح الأمور . . لم يعد الأمر حرباً بيننا وبين سكان هذا الدير اللعين ، بل مع مجموعة من الأفاقين تمكنوا، بطريقة ما ، من السيطرة على سكان الدير ، ولا شك انهم يسعون إلى ما لديهم من ذهب . .

قال بومدين :

- من الخطر علينا ، وعلى الكنز، لو وفقنا في العثور عليه، من الظهور أمامهم ، فلا شك أنهم يراقبونا ونحن لا نراهم . .

أجابه سامح بحزم :

- سننقسم إلى مجموعتين . . المجموعة الأولى تتولى الحفر ، والمجموعة الثانية تحميها من أي اعتداء . .

وتابعوا سيرهم ، عندما انقطع سيل الأحجار ، حتى وصلوا إلى المكان الذي حدده الخفي على خريطته . . فقال جاد :

- إنه هذا الكهف الصغير . .إن مدخله مغلق، ويظهر بوضوح أن يداً هي التي سدته لا الطبيعة . .

اقتربوا من كومة الأحجار التي تسد الباب ، وتأكدوا من صحة ما قال ، فقد كان الطين ، الذي ظهر بوضوح بين الأحجار ، يدل على أن إنساناً أغلق المكان منذ أمد طويل ، فقد تفتت الطين بمجرد ان لمسته أنامل جعفر . .

قال فيصل :

- إنه هو المكان الصحيح ، فقد نجح الخفي في تحريره بكل دقة . .

أجابه سامح :

- سيتولى جاد وبومدين رفع هذه الأحجار، وسنتولى نحن حمايتكم من أي هجوم . .

قال جعفر متابعاً :

- على أن نتبادل المراكز بعد فترة . .

وأمسكوا ببنادقهم وتفرقوا ، متخذين لأنفسهم ساتراً من الأحجار ، وعيونهم معلقة بسفح الجبل . .

ومرت ساعة والعمل يسير بهمة ونشاط حتى أدركهما التعب ، فحل فيصل ومازن محلهما . .واستمر العمل بعزيمة وإصرار وبدون مفاجآت أو مزيد من اعتداءات . .

وبعد وقت هتف مازن فجأة :

- لقد فتحت ثغره . .

قال سامح :

- إنضما إليهما ، ويكفي أنا وجاد للحراسة . .

ولم تمر إلا دقائق حتى كشفوا بعدها مدخل المغارة كاملاً . . كان الظلام مخيماً على داخلها فأشعلوا مصابيحهم ، وتقدمهم مازن يحمل مصباحه بيده اليسرى ومسدسه مشرعاً في يده اليمنى . .

رفع مازن يده بالمصباح عالياً وهتف بدهشة :

- يا الله . . انظروا . .

كانت أكواماً من السيوف والدروع والحراب مكدسة بعضها فوق

بعض ، وإلى جوارها عدة صناديق خشبية مغلقة . .

وأردف قائلاً :

ـ إنها ثروة طائلة . .

أجابه فيصل :

ـ طالما أن الله وفّقنا إلى المكان بهذه السرعة ، فلنحاول إنجاز المهمة والرحيل من هنا . .

تعاونوا على نقل الأسلحة الثمينة إلى الخارج وكدسوها ، فقال جاد :

ـ خطرت لي فكرة . . لماذا لا أحضر الطائرة إلى هنا . . ؟؟إن المكان يتسع بسهولة لهبوطها . .

أجابه سامح :

ـ إذا كان بإمكانك الهبوط هنا فلا شك أنك ستوفر علينا الكثير من الوقت . .

قال جاد :

ـ سأفعل . . إنتظروني . .

وقبل أن يزيد أحدهم كلمة كان جاد يقفز الجرف هابطاً كالقرد . .
انتهوا من نقل آخر ما في الكهف ووقفوا يجففون العرق ، الذي تصبب منهم بغزارة نتيجة للمجهود الكبير الذي بذلوه . . فقال سامح :

ـ إن الشمس تميل إلى الغروب وهبوط الليل ، ونحن هنا ،

وأمامنا هذه الثروة ، سيجعلنا معرضين لخطر داهم . .

ولكن صوت أزيز المحرك الذي ارتفع فجأة جعلهم يطرحون مخاوفهم جانباً ، حتى استخف الفرح بجعفر فأسرع إلى حافة الهاوية يرقب الطائرة في صعودها إلى مكانهم . .

ولم تمر لحظة حتى هتف محذراً :

ـ إحترسوا . . الحشرات تهاجمنا . .

كانت أسراب من الحشرة الحمراء تنقض عليهم بوحشية غريبة ، ولما أسرع مازن إلى الأسطوانه ، التي ألقاها جاد عن ظهره ، استطاع في لحظات أن يقضي على معظمها بيسر وسهولة . .

وعندما رفع بصره إلى السفح لمح برعب مجموعة من الرجال الأشداء يهبطون ناحيتهم ، فقال محذراً :

ـ خذوا حذركم . . إنهم يهجمون . .

إستعدوا للدفاع عن أنفسهم ، واتخذوا من الأحجار ساتراً تمركزوا خلفه ، وانتظروا حتى يصبح المهاجمون في مرمى أشعتهم القاتلة . .

ازداد أزيز الطائرة ارتفاعاً ، ولاحت تحوم حول المكان وتهبط تدريجياً . . حاول سامح أن يلفت نظر جاد ليبتعد ولكن بعد فوات الأوان ، فقد هبط جاد وببراعة تامة أمامهم مباشرة . .ثم فتح باب الطائرة وهتف بهم :

ـ أين أنتم . . ؟؟

أجابته طلقات نارية انهالت عليه من المهاجمين ، الذين اختفوا بدورهم خلف الأحجار، ولم يصب جاد بسوء وإن أسرع نحو المغارة

وألقى بنفسه داخلها وهو يتساءل :

ـ هل عددهم كبير . . ؟

أجابه سامح :

ـ إن عددهم لا يخيفنا ، فمتى أصبحوا في مرمى الأشعة سنقضي عليهم بكل سهولة . .

قال جاد بدهشة :

ـ ولكن من أين جاء هؤلاء الرجال . . ؟؟ وكيف تم لهم التفاهم مع الأقزام ليشاركوهم الهجوم علينا . . ؟؟

أجابه جعفر :

ـ لا يهم الآن من يكونون؟ أو من أين جاؤوا . .؟ متى لقّناهم درساً قاسياً تراجعوا على الفور . .

كان جاد يزحف ببطء شديد حتى اصبح خلفهم جميعاً ، بينما أبصارهم كانت شاخصة ترقب الرجال في تقدمهم البطيء . . ثم انتصب واقفاً بعد ان اصبح في داخل الغار وقال بصوت مرتفع :

ـ إنهم يفوقوننا عدداً ، ومن رأيي أن نسارع بالهرب من هنا

أجابه جعفر بغضب ،دون ان يستدير بوجهه ناحيته :

ـ وكيف يتسنى لنا الهرب ونحن في مرمى نيرانهم .

ومرت دقائق ثقيلة ، والمهاجون في أماكنهم لا يتقدمون . .

فقال فيصل :

ـ إنهم في انتظار الظلام ليهجموا . .

أجابه بومدين :

ـ وفي الظلام يسهل عليهم القضاء علينا . .

قال سامح بصوت قاطع صارم :

ـ لن نتيح لهم الفرصة . . سنهاجمهم نحن . .

أجابه جاد محذراً :

ـ لا يا سامح . . إنهم في مراكز مرتفعة حصينة، وسينالون من كل من يبرز أمامهم . . فلننتظر الليل بدورنا ولكن لا لنقاتلهم إنما لنلوذ بالفرار . . إذا فكرنا في القتال أفنونا في لحظات .

وساد الصمت برهة ، وسمعت أصوات تدحرج الأحجار الصغيرة تحت أقدام المهاجمين وهم يهبطون . . وكان أول من تنبه لهم، في زحفهم الصامت،جعفر ، الذي لم يتردّد وصوب فوهة مسدسه إلى بندقية سريعة يحملها أحدهم، وأطلق الأشعة الرهيبة فذاب معدن البندقية في يد الرجل ، وأصابه بحرق مؤلم أطلق له صرخة ألم ، فتوقف الباقون عن التقدم ، وهم ينظرون إلى رفيقهم بذعر . .

هتف جعفر من مكانه :

ـ سيكون هذا إنذاراً لكم بأننا نملك من الأسلحة ما يتيح لنا القضاء عليكم . . ارسلوا أحدكم لنتفاهم معه إن كان بيننا ما يستحق التفاهم . .

أجابه صوت أجش :

ـ إسمع أيها الفتى . . مهما كان بحوزتكم من أسلحة فلن تصمدوا طويلاً أمام الجوع والعطش . . ومع ذلك سنتيح لكم فرصة الرحيل

فوراً بشرط ان تتركوا كل شيء في مكانه . .

قال جعفر بغيظ :

ـ إننا لا نأتمر بأمر منك . . جرب تجويعنا وسترى أنك واهم ، فلدينا ما يكفينا شهراً كاملاً . .

ولما كانوا متفرقين في نصف دائرة ، ويبعد كل منهم عن الآخر مسافة لا تتيح لهم التجمع بسرعة ، فقد رأى جعفر أن يتكتلوا في مكان واحد ، ويتخذوا من المغارة ساتراً وحامياً لظهورهم ، لذلك قال لأقربهم إليه ، وكان بومدين ، وبصوت خافت نوعاً :

ـ بومدين . . أتسمعني . . ؟؟ يجب أن نتجمع في مدخل المغارة . . إزحف إلى هناك . .

واستدار إلى الناحية الأخرى وهتف منادياً فيصل ، وأبلغه الأمر عينه ، وطلب منه أن ينقله إلى كل من سامح ومازن ، فلم يكن جاد في حاجة للتنبيه إذ كان يرقب ما يدور من داخل المغارة وهو آمن .

وعادوا إلى المغارة زاحفين وبحذر شديد ، وكان سامح ومازن أول من وصل ، وتلاهما بومدين ، ثم فيصل الذي نظر بقلق ناحية جعفر فقد كان في موقعه المتقدم أبعد الجميع عن المغارة . .

قال سامح :

ـ يمكننا من هذا المكان مقاومتهم ولو كانوا أضعاف عددهم الحالي . .

ولكن صوتاً يعرفونه جاء من خلفه يقول :

ـ ألقوا بأسلحتكم ولا تحاولوا المقاومة . .

استداروا مبهوتين ليشاهدوا جاداً منتصباً ، وفي يده مسدس ليزري ، وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة عريضة . . هتف سامح مذهولاً .

ـ جاد . . ما هذا الذي تقوله . . ؟؟

أجابه بلهجة قاطعة :

ـ لقد سمعت ما قلته . . ألقوا بهذه الأسلحة لنمنحكم فرصة للتفاهم وإلا . .

ولوح بمسدسه الرهيب مهدداً فلم يسعهم إلا إلقاء المسدسات من أيديهم . فقال جاد .

ـ هذا أفضل . .

وخرج من المغارة ، ورفع رأسه نحو السفح ، وهتف يقول :

ـ إهبطوا . . لقد انتهى كل شيء . .

برزت الرؤوس من خلف الأحجار . وتوالى نزولهم وظهروا سافرين هذه المرة . . كانت وجوههم تحمل الشر والإجرام . . قال جاد . .

ـ هيا . . أسرعوا في نقل كل هذا الذهب إلى الطائرة . .

وبدأت عملية النقل ، وكان عدد الرجال عشرة غير جاد ، الذي وضح للجميع أنه رئيسهم . .

بقي جاد يرقب عملية النقل صامتاً لبعض الوقت ، ثم قال :

ـ لا شك أنكم في حيرة من أمركم بشأني . . تعتقدون أن الخفي لا يقهر ولا يخدعه أحد ، أليس كذلك . . ؟؟ إن موقفكم هذا يثبت

لكم عكس ما تظنون . . لقد كان الخفي هو دليلنا إلى مكان الكنز ، أما جاد فقد مات ميتة الرجال وهو يقاومني . .

أدركوا أنه استطاع أن يحل محل جاد بعد أن تخلص منه ، فقال فيصل بشجاعة :

ـ اغتلته غدراً بكل تأكيد . .

استشاط جاد غضباً ولوح بمسدسه ، وقال مهدداً :

ـ ولكن إن شئت قتلتك جهراً . .

كان الرجال على وشك الانتهاء من نقل الذهب إلى الطائرة ، وكان الظلام قد اشتد ، فلم يتبينوا ذلك الشبح الذي تسلل إلى داخل الطائرة دون صوت . .

قال أحد الرجال لجاد :

ـ لقد أوشكوا على الانتهاء . . هل ستتسع الطائرة لنا جميعاً . .

فأجابه بلهجة آمرة :

ـ بالطبع لا . . سيبقى معي أربعة منكم ، أما الباقون فليعودوا فوراً إلى السيارة ويرحلوا ليلتقوا بنا في المطار المهجور . . ولكن قبل كل شيء . . اخلعوا الملابس عن القرود وأطلقوا سراحها لتذهب . . يجب أن تبقى الأسطورة قائمة ، ويعتقد الجميع أن الأقزام لا يزالون في ديرهم الغامض . .

نادى الرجل على بعض رفاقه بأسمائهم ، ولوح لقاتل جاد مودعاً وانصرف بهم على عجل صاعداً ، وأدركوا أن باقي الرجال سيكونون رفاقه في الطائرة ، فقال بومدين :

ـ قلت إنك خدعت الخفي وقتلت جاد ، فما الذي وراء هذا كله . ؟

ضحك ساخراً وأجابه :

ـ إن هذه الكمية من الذهب تكفي عند بيعها لتجعل كل فرد منا مليونيراً . . أما بالنسبة لزعيمكم الخفي فلا تنسوا ، إذا تصادف والتقيتم به ، أن تبلغوه تحياتي القلبية . . لا تنسوا . . إسمي الذي يعرفه هو ماكسيم . .

سأله فيصل :

ـ وماذا سنفعل إذا كنت سترحل بالطائرة . . ؟؟

ضحك ماكسيم ساخراً وقال :

ـ مالي أنا وما ستفعلون . . ؟؟ هل أصدر أمري وأبقي لكم على القرود لتؤنس من وحشتكم . .

وقهقه ضاحكاً بجنون وقال :

ـ كانت أبرع خدعة . . هل خطر ببال أحدكم أن تحت هذه الأردية السوداء قروداً دربناها سنة كاملة . . ؟؟

وانتهى آخر الرجال من وضع آخر الصناديق في الطائرة وقال :

ـ انتهينا . . هل سنرحل على الفور ، أم نستريح لحظات ريثما ندخن سيجارة . .

وجلس الرجال في شبه دائرة ، ولما مد أحدهم يده نحو الأسلحة الملقاة على الأرض هتف به ماكسيم غاضباً :

ـ دعها في مكانها ولا تلمسها وإلا قتلتك . .

وقال ماكسيم متابعاً :

ـ والآن . إجمع منهم أسلحتهم وضعها مع هذه المسدسات . . لن يبقى مسلحاً بيننا إلا أنا وحدي . .

كان يلوح بمسدسه مهدداً ، وهو يتكلم ، فلم يسع الرجال إلا تنفيذ أمره ، وألقوا ببنادقهم السريعة أرضاً ، فأشار ماكسيم بمسدسه للجميع وقال :

ـ انتقلوا كلكم إلى هذه الناحية . . هيا . .

ونُفذ أمره على الفور ، وأصبح الرجال عزلاً ، شأنهم شأن المغامرين ، وأصبح المسلح الوحيد بينهم هو ماكسيم الذي استخفه الفرح فقال :

ـ لا يكلفني التخلص منكم جميعاً إلا ضغطة من اصبعي ، ولكني لن أفعل . . سأحملكم معي ، ولكن مقيدين ، فلا آمن أن تغدروا بي . . إذا كان هذا العرض لا يروقكم فابقوا حيث أنتم ، ويمكنكم بدون شك الوصول إلى مكان السيارة ، التي تركها هؤلاء الأغبياء . .

قال سامح بغضب :

ـ وماذا عني ورفاقي . . ؟؟

أجابه ببرود وسخرية :

ـ أما أنتم فسأترك أمركم للخفي ، زعيمكم الذي لا يقهر . .

وعاد يطلق ضحكته الساخرة ، التي غلت لها الدماء في

عروقهم . . وتكلم أحد الرجال ، وكان أقصرهم قامة وأرفعهم صوتاً :

ـ أين ذهب هذا الأسود الملعون . . ؟؟

إلتفت إليه ماكسيم بحدة ، وامتقع وجهه وهو ينظر إلى سامح ورفاقه بوحشية :

ـ أين هو . . ؟؟ تكلموا . . أين هو . . ؟؟

عاد ينظر حوله برعب ثم قال ، وهو يتقهقر نحو الطائرة :

ـ إذا تحرك أحدكم أذبت مخه . .

ولما وصل إلى سلم الطائرة وأمسك به ، ضحك ساخراً ، وقال :

ـ لا شك أنه هرب . . ستلتقون به إذا لم تأكله الوحوش . .

ولكن صرخة عالية انبعثت منه ، وهو يرمي مسدسه من يده ، وظهر جعفر خارجاً من باب الطائرة يهتف برفاقه :

ـ خذوا أسلحتكم وقيدوا هؤلاء . .

انقضوا عليهم وأوثقوهم بقوة وبسرعة ، وكان جعفر سعيداً وهو يداعب ماكسيم ، الذي أمسك راحته المحترقة بيده ، وقال له ساخراً :

ـ أما أنت فستصحبنا لتحاكم بتهمة قتل جاد . .

وحملوه إلى الطائرة ، التي تولى مازن قيادتها ببراعة . واتجه ، بإرشاد من الخرائط ، إلى الحدود الإيرانية . .

تنهد فيصل بارتياح ، وقال :

- حقاً لقد خدعنا هذا الحقير . . ليت الخفي معنا لأستأذنه في أمر أتوق إليه . .

أجابه الخفي بصوت يهتز انفعالاً :

- عمل طيب يا أولاد . . إن هذا الخائن سيلقى عقاباً رادعاً . .

قال فيصل بفرح :

- لماذا لا تتركه لي . . ؟؟ أود أن أذيقه من ذات الكأس التي كان يعدّها لنا . .

ضحك الخفي وقال :

- لا يا فيصل . . سيقدم للمحاكمة بتهمة القتل ، وسيكون مصيره الإعدام . . ولكن قبل أن يتم هذا ، سأتيح له فرصة الحياة إذا أصدقني القول فيما سأسأله . .

أجابه ماكسيم على عجل :

- سأجيبك عن كل ما تسأل . .

قال الخفي :

- بصدق ودون مواربة . .

أجابه ماكسيم :

- نعم ، وأقسم لك على ذلك . .

لكزه جعفر في ذقنه ساخراً ، وقال :

- قالوا للص أقسم فقال جاء الفرج . . وهل لأمثاله قسم . . ؟؟

قال الخفي :

- إذا فكر في الكذب فسأعرف فوراً ، وفي هذه الحالة سنوفر عليه العذاب الذي سيلقاه ، ونقذف به إلى هذا الوادي الجميل . .

ارتعد ماكسيم وقال بصوت مختنق :

- سأجيبك . . سلني وجرّب . . سأصدقك القول . .

قال الخفي :

- كيف عرفت بالأمر فاستعددت له بهذه القرود ، لتحيي الأسطورة القديمة ، حتى نجحت في خداعي . .

تبادلوا نظرات دهشة . . إن الخفي ، ولأول مرة ، يعترف أنه خدع . .

أجابه ماكسيم من فوره :

- كان ذلك منذ سنة ، عندما كنت أعمل بمكتب جيرار للأعمال الهندسية . .

قال الخفي :

- الآن عرفت كل شيء . . تلصصت علينا أثناء وجودنا هناك لنكلف جيرار برسم خريطة ، على ضوء ما جاء في خريطة الرحالة ، . . أليس كذلك . . ؟؟

أجابه ماكسيم :

- نعم . . وقد تركت الخطاب ، الذي ظهرت عليه الخريطة يومذاك في عهدته ونجحت في الاطلاع عليها ، وعرفت كل شيء وقررت الاستيلاء على الكنز لنفسي . .

قال الخفي :

ـ وفي سبيل ذلك قمت بقتل جاد المسكين وأخذت مكانه وانتحلت شخصيته . . ولكن كيف عرفت أن جاد يعمل لي وأنني كلفته بالمهمة . . ؟؟

أجابه بصوت خافت :

ـ لم تغب عن عيني منذ قرأت الخطاب وسمعت حديثك مع جاد خلال جهازك ، وعرفت أنه أول عمل له معك . .

قال جعفر وهو دهش :

ـ أكانت المرة الأولى التي يعمل لك فيها المسكين . . ؟؟

أجابه الخفي بحزن :

ـ نعم ، وإلا لتنبهت إلى التبديل الذي تم . .

وسكت برهة ثم قال :

ـ مازن . . إهبط في المطار المهجور ريثما تصلكم الطائرة التي ستنقلكم إلى لبنان . . لا تنسوا القبض على باقي الرجال ، فيجب أن نزفهم جميعاً إلى السلطات . .

قال ماكسيم بضراعة :

ـ ولكنني أصدقت القول وقد وعدتني . .

ضحك الخفي وقال :

ـ من جانبي لا مانع عندي من البر بوعدي ، ولكن ترى هل

سيقبل رفاقك في الطائرة أن يخلى سبيل من كان في عزمه قتلهم جميعاً . .

أدركوا أن الخفي تخلّص من وعده وترك الأمر لهم ، فقال جعفر :

ـ إن الإفراج عنه سيكون على يدي أنا . . نعم سألقي به للوحوش عينها التي أعدنا لنكون طعاماً لها . .

قال ماكسيم برعب :

ـ لا . . لن تفعل هذا . . إفعلوا بي ما شئتم ولكن لا تتركوني للوحوش تأكلني حياً . .

قال فيصل :

ـ وما الفرق . . المهم أنك ستموت في كل الحالات ، وخير البر عاجله . .

قال بومدين وهو ينحني ويفحص أذنه بعناية :

ـ إليّ بخنجرك يا مازن . . أود أن أحتفظ بأذنيه لأضمهما إلى مجموعتي . .

انكمش ماكسيم في مكانه وقال ، وهو يكاد يجن :

ـ لا . . إمنعهم بحق السماء . . إمنعهم . .

أجابه الخفي ببساطة :

ـ في هذه الحالة يجب تسليمك للسلطات ، فقد تجد في المحاكمة فرصة لتخفيف الحكم . .

قال فيصل :

ـ ليس قبـل أن يجيبني عـلى سؤال أخـير . . كيف روضـت تلك الحشرات القاتلة واستعملتها ضدنا . . ؟

أجابه من فوره :

ـ لست أنا الذي فعل ذلك بل الراهب المجنون ، الذي عثرنا عليه داخل الدير المعلق ، وكان ساكنه الوحيد . .

قال الخفي :

ـ سندرس كل هذا عندمـا تعودون إلى القـاعدة . . لقـد سخر منـا ونجـح في خداعي ، ويجب أن يكـون في ذلك عبـرة ودرسـاً . . لقـد تهاونت وتخليت عن حذري يوم تركت الخطاب في مكتب جيرار ، وها هي النتيجة . .

قال سامح بإعجاب :

ـ وهل تعتبر ذلك تقصيراً منك . . ؟؟

أجابه الخفي على الفور :

ـ ماذا تسميه إذن . . ؟ لولا هذا الخطأ ما عرف هذا المجرم بالأمـر كله . .

قال فيصل :

ـ هـل تسمح لي بـالاحتفاظ بسيف من هـذه السيوف الـرائعة . ؟

ضحك الخفي وقال مازحاً :

ـ بل ستحتفظون بثلاثة عشر سيفاً منها . . سـأراكم عندمـا تتبارزون بها ولا تنسوا . . ستكون جائزة الفائز درعاً ذهبياً . . من هذه الـدروع الجميلة . . إلى اللقاء . .

تمت

سلسلة المغامرين الـ ١٣

وهـذه مجمـوعـة أخـرى من قصص الفتيـان ، تفخـر « دار النفـائس » بوضعها في متناول أيديهم .

إنها قصص « بوليسية » مثيرة . يلعب فيها الخيال دوراً بارزاً . وينتصر فيها العـدل على الـظلم ، والقانـون عـلى المجرمين .

في قصتنـا هذه نعـتَزُّ بالمحـافـظة عـلى العـرض الأدبي الممتـع ، والاهتمـام بالخلق الرفيع ، والشهامة العربيـة ، والشجاعة الأصيلة ، عسى أن يستفيد منها الجيل الجديد .




ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net